صبر الحسنين (١)

بقلم فؤاد الراوى

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال تعالى : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون »

وقال عزوجل (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) صدق الله العظيم

وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عزوجل ، اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه اوماله اوولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة ، ان انصب له ميزاناً ، او انشر له ديواناً »

وقال عليه الصلاة والسلام « في الصبر على ماتكره خير كثير »

ومن جوامع الكلام قوله (ص) (الصبر عون على الخطوب) وللامام علي « ع » [أيها الناس ، احفظوا عني خمسا فلو شددتم اليها المطايا حتى تضنوها وتهلكوها لم تظفروا بمثلها . ألا لايرجون احدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولايستحي احدكم اذا لم يعلم أن يتعلم ، واذا سئل عما لايعلم ، ان يقول لااعلم ، ألا وان الخامسة الصبر .. فان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ومن لاصبر له ، لاايمان له ، ومن لارأس له لاجسد له ، ولاخير فى قراءة إلا بتدبر ، ولافى عبادة الا بتفكير ، ولا فى حلم الا بعلم .. الى آخر ماقاله .]

وقال العباس « رضى الله عنه » فى صبر الحسنين أما انت يا أخي لو وزنت السماء والارض بصبرك وثباتك لرجحت . . »

وروى : ان الحجة ، صاحب الامر .: لما زار جده الحسين « ع » قال : (ياجداه لقد عجبت من صبرك ملائكة السماء . . (والله اعلم . .

ومما قيل فى رثاء النبي « ص » : ونسب الى الامير علي « ع » (فى قول بعض الروايات لأن الانبياء والاولياء قبل لم يقولوا شعراً) وذلك في الحث على الصبر الجميل التي منها قوله [ع] .

يعزّى المعزى ثم يمضي لشأنه ويبقى المعزى في احر من الجمر

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني صبرت على شيء أمر من الصبر

التى لانفاد لها . ؟)

وهكذا تلاه زهير بن القين وبقية اصحابه ، والكل يعبر عن شعور التضحية اصدق تعبير . وهذا وايم الحق لمنتهى الاخلاص والوفاء بتدبر وامعان .!!

اخلصوا لله حيث آمنوا بقوله (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) واخلصوا لنبيهم حيث حفظوا امانته ، وتفانوا فى سبيل نصرة سيدهم مع أنه أذن لهم بالتخلى عنه وحل بيعته من اعناقهم ، واخلصوا لأمتهم حيث ارادوا لها العز فى حين تأبى ابناؤها على مذلتهم ، واخلصوا لانفسهم حيث لم يوردوها مورد الخزي والعار ، ووفوا بعهد الله ففازوا بشهادته « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

ان هذا العمل الباهر كان - ولم يزل - احدوثة المجد ، وانشودة الشرف ، مادام للمجد والشرف ذكر يذكر ، فهذا يومهم تبزغ شمسه فى مستهل كل عام ، وهذه ذكراهم تبلي الايام وتفنى السنون وهي باقية على جدتها .

إذن . . ! لابد لي من تقرير هذه الحقيقة وهى - مامن أمة من امم التاريخ بلغت شيئاً من رفعة المنزلة إلا كانت التضحية من اقوى مبادئها ، فاذا ما ضعفت روح التضحية فيها تضعضعت وصارت الى الزوال (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) صدق الله العظيم .

البصرة — عبد الرزاق العائش

(١) القاها بنفسه فى الليلة السادسة

وقال الشاعر في الصبر

بنى الله للاخيار بيتاً سقوفه همومٌ واحزان وحيطانه الصبر
وادخلهم فيه واغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

ومما يروى للسيد حيدر الحلي ، في الصبر الجميل قوله :

لله مفطورا من الصبر قلبه ولو كان من صم الصفى لتصدعا
وظاهر فيها بين درعين نثرة وصبر ودرع الصبر اقوى واهاعرا

ومما قاله الفرزدق الشاعر في قصيدته المشهورة ، في مدح علي بن الحسين « ع »

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

الى ان يقول :

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

وقال اعشى همدان ، قصيدة يتوجع بها مما أصاب اتباع الحسين « ع » عندما ارادوا الأخذ بثاره ، من الامويين ، (وهي احدى المكتبات) اي القصائد اللاتي كن يكتمن في ذلك الزمان ، ومنها قوله :

فأني وان لم أنسهن لذاكر رزيئة منحيات كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا وتقوى الله خير تكساب كاسب

الى ان يقول :

يقوم هم أهل التقية والنهى معاليت انجاد سراة مناجب
وغودر اهل الصبر صرعى فاصبحوا

تعاورهم ريح الصبا والجنائب

فيا خير جيش للعراق واهله سقيتم روايا كل اسحم ساكب
فان يقتلوا فالقتل اكرم ميتة وكل فتى يوما لاحدى الشواعب

وقال تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

وقيل الصبر شجرة مثمرة ، اصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي اكلها كل حين باذن ربها

وقالوا الصبر الجميل ثمره من ثمرة العقول ، ومن اخلاق الانبياء والعظماء .

وقال آخر:

لله اعباء صبر قد تحملها لم يحتملها نبي او وصي نبي

والآن .. تعالوا معي .. لنقلب صفحات التأريخ الاسلامي في عهد رسول الله وعصر الخلفاء الراشدين. ودور بني أمية ، ليتضح لنا جلياً ، موقف الشهيد الخالد الامام الحسين « ع » (واصبروا ان الله لا يضيع أجر المحسنين) .. عسى ان نكشف بين سطور حادث الطف . ابلغ الدروس ، وانفع العبر والذكريات ، عن طريق الاستنباط ، من سيرة ابطال آل هاشم .

وتلبية لنداء الحق ، واداء الواجب المقدس ، يجدر بنا ان نحيي هذه الذكرى ، بما يتفق واهميتها ، في جميع انحاء العالم الاسلامي (ونعم أجر العاملين الذين صبروا)

وفي يوم السبت — او يوم الجمعة — يوم عاشوراء ، سنة ستين هجرية دعى الحسين اصحابه وصلى بهم صلاة الغداة عملا بقوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » وكان معه اثنان وثلاثين فارسا واربعون راجلا « على قول بعض الروايات » واعطى رايته الى اخيه العباس واحتاطوا لئلا يؤتوا من خلفهم ، وأولاد أخيه من في حر الظهيرة

ثم ركب « ع » ودعا بمصحف فوضع بين يديه ، وامتثل اصحابه نصب عينه

وكأن الشاعر يقصدهم بقوله :

رجال تواصوا حيث طابت اصولهم
وانفسهم بالصبر حتى قضوا صبرا

وحمل شمر اللعين حتى بلغ فسطاط الحسين واراد يحرقه على من فيه من أهله فنهاه بعضهم فانتهى

واشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم فوقع في فمه

ثم ان شمرا اقبل في نفر نحو عشرة الى منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله وجعل شمر يحرضهم على الحسين حتى احاطوا به وقام غلام من اهله الى جنبه فضربوه بالسيف فقطع يده

وبعد ان وقع الحسين من على جواده واخذ يقتل بهم وهو في تلك الحالة فنادى شمر اللعين في الناس ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحملوا عليه من كل جانب بالسيوف والرماح وهو يقوم ويكبو حتى وقع فأتى اليه شمر وحز رأسه من قفاه . فسلام عليك يا أبا عبد الله وعلى آلك الطاهرين ؟

البصرة

فؤاد الراوي